بدايات التدجين في الصحراء الجزائرية من خلال الفن الصخري

the domestication beginning in the Algerian Sahara through rock art.

1- سليم سعيدي *، جامعة 8 ماي 1945 قالمة (الجزائر)
salimsaidi215@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023 /07/08 تاريخ القبول: 2023 /12/29 تاريخ النشر: 2023 /12/31

ملخص: بعد أن عاش الإنسان مئات الآلاف من السنين خلال عصور ما قبل التاريخ متنقّلا من مكان إلى مكان بحثا عن غذائه سواء عن طريق التقاط الثمار البرية أو صيد الطرائد التي تعيش في محيطه، اهتدى بعد ذلك إلى ممارسة الزراعة وتدجين بعض الحيوانات ليصبح منتجا للطعام بدل جامعا له ويدخل بذلك إلى عصر جديد هو العصر الحجري الحديث، وهذا ما يدعونا للتساؤل: متى بدأ البشر يستأنسون الحيوانات في الصحراء الجزائرية؟ وما هي أهم الحيوانات المدجنة؟ وما أصولها؟

كلمات مفتاحية: التدجين؛ الصحراء؛ العصر الحجري الحديث؛ الحيوان؛ الفن الصخري.

Abstract: After living hundreds of thousands of years during prehistoric time moving from place to place in search of food, whether by picking up wild fruits or hunting prey that used to live in his surrounding areas , peaple was guided to the practice of agriculture and the domestication of some animals to become a producer of food instead of a collector. He entered new era, which is the Neolithic age thus , we ask the following questions, when did humans begin the domestication of animals in the Algerian Sahara ? What are the most prominent domesticated animals ? And What was its origines ?

Keywords: domestication, Sahara, Neolithic, animals, rock art.

***- المؤلف المرسل**

- **مقدمة**

يعتبر تدجين الحيوانات من أبرز الإنجازات الحضارية التي توصلت إليها الإنسان خلال عصور ما قبل التاريخ، فبعد أن كانت المجتمعات البشرية تعتمد في توفير قوتها اليومي على صيد بعض الطرائد وجمع الثمار البرية، تمكنت بعض الجماعات في مناطق متعددة من العالم القديم من التحكم في تكاثر بعض الحيوانات والسيطرة عليها من ترويضها و تربيتها، وصارت المصدر الأساسي لغذائه، فاستهلك لحومها وحليبها وصنع من جلودها ملابس يرتديها لتقيه من البرد القارس. ويجدر الذكر هنا أن أن الحيوانات المدجنة لم في فترة واحدة بل تفصل بينها الآلاف من السنين، بل إن بعضها يعود تدجينه إلى الفترة الميلادية.

وعلى الرغم من كثرة البحوث والاكتشافات الأثرية المتعلقة بتدجين الحيوانات في منطقتي الشرق الأدنى والشرق الأقصى، فإن منطقة شمال إفريقيا والصحراء الجزائرية تعاني ندرة البعثات الأثرية المتخصصة، وبالتالي مازالت مجهولة لحد ما إلا ما قام به بعض الباحثين الفرنسيين خلال الفترة الاستعمارية، ومن أهمهم نذكر غابريال كامبس في مجموعة من الدراسات المتخصصة وكذلك ليونال بالو.

ومن هنا سنحاول الإجابة عن التساؤلات الآتية: متى بدأ الإنسان يدجن الحيوانات في الصحراء الجزائرية، وما هي أبرز الحيوانات المدجنة فيها؟ وماهي أصولها؟ وإلى أي مدى ساهم الإنسان الصحراوي في نشر ثقافة التدجين في المناطق المجاورة؟

كما سنحاول التعرف على أهم المواقع الأثرية التي تشير إلى بدايات التدجين في الصحراء معتمدين على آخر الأبحاث الأثرية المنجزة في منطقتنا دون إهمال الدراسات السابقة والتي ساهمت بشكل أو بآخر في التعريف بتطور التدجين فيها.

1.بدايات التدجين في العالم القديم: تعود أولى محاولات الإنسان لتدجين الحيوانات إلى حوالي 11000 ق.م إذا استثنينا الكلاب التي يعود تدجينها –بطبيعة الحال- إلى العصر الحجري القديم الأوسط (100000-12000 ق.م)، مع النطوفيين بفلسطين، حيث عُثر في بعض المواقع النطوفية كموقع الخيام وعين ملاحة وتل مربيط على شظايا عظام كلاب وماعز وخنازير وأبقار تشير إلى

المحاولات الأولى للتدجين مع عظام حيوانات يُعتقد أنّها مازالت برية،[1] ولم يتوصّل الإنسان إلى عملية التدجين دفعة واحدة بل كان عبر مراحل تطوّرت عن بعضها البعض واستغرقت ألاف السنين، كان أوّلها التقمقم (skavening) أي التجمّع حول جيف الجيوانات، ثم الافتراس العشوائي ثم الصيد الانتقائي ثم الترويض وأخيرا التدجين، واكتسب الإنسان من مراحل الصيد المختلفة خبرة واسعة في فهم سلوك الحيوانات ومتطلباتها البيئية خلال هذه المرحلة مثل تنقّلاتها الموسمية ومواسم تناسلها[2].

وحسب النظرية الكلاسيكية فإنّ تدجين الحيوانات كان نتيجة مباشرة لتوصّل الإنسان للزراعة، حيث كانت بعض الحيوانات تقصد الحقول لتتغذّى بحشائشها فباقترابها من الإنسان قام باصطيادها والاحتفاظ بها، ومن هنا بدأت عملية تدجين الحيوان وأُحتفظ بالصغار بفصلها عن بقية القطعان مما نتج عنه خلق قطيع مدجن، غير أنّ القول هنا بأنّ تدجين الحيوان كان نتيجة للزراعة لا ينطبق على كافة المناطق في العالم القديم، فإن كان ذلك ينطبق على مناطق مثل فلسطين والعراق فإنّ هذا لا ينطبق على منطقة المغرب القديم والصحراء حيث أنّ الزراعة فيها كانت متأخّرة عن تدجين الحيوان، بالتّالي فإنّ هذه النظرية نسبية ولا يُمكن تعميمها على منطقتنا[3].

ومنذ الألف التاسعة قبل الميلاد كان الناس في مناطق متعدّدة من الشرق الأدنى القديم قد توصّلوا فعلا لعملية تدجين الحيوانات من خلال ما عُثر عليه من بقايا عظام في عدّة مناطق منها موقع البيضاء بالأردن والحولة بفلسطين[4]، كما عُثر على آلاف العظام المكسورة في مواقع زاوي تشمي وكهف شانيدار بجبال كردستان العراقية تدلّ على أنّ السكان قد قتلوا أعدادا كبيرة من الأغنام البرية لم يكتمل نموّها وذلك منذ الألف التاسعة قبل الميلاد، وهذا يتضمّن عملية انتخاب حريص لها، ولعلّ الصيادين قد أحاطوا أرض مرعى الحيوانات بسور بحيث يستطيعون بسهولة صيد حيوانات بعينها[5].

---

[1] - Ducos (P.), "Les débuts de l'élevage en Palestine", In: Syria. Tome 44 fascicule 3-4, 1967,p375.

[2] - التجاني الماحي علي، "اقتصاد التأقلم البيئي والكلب المستأنس في العصور الحجرية بوادي النيل الجنوبي"، مجلة أدوماتو، العدد الأول، يناير2000، ص31.

[3] - Leclant (J.) et Huard (P.), **la culture des chasseurs du Nil et du Sahara**, tome II, (M.R.A.P.E),Alger, 1976 p491.

[4] - فارب بيتر، **بنو الإنسان**، ترجمة: زهير الكرمي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والآداب، عدد 67، الكويت، جويلية 1983، ص66.

[5] - فاغان براين، **الصيف الطويل دور المناخ في تغيير الحضارة**، ترجمة: مصطفى فهمي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والآداب، عدد 340، الكويت، جوان 2007، ص ص128-133.

والسؤال الذي يطرح هنا: كيف اهتدى الإنسان إلى تدجين الحيوان؟

إنّه لمن الصّعب الإجابة عن هذه الإشكالية، فما قُدّم من تفسيرات هي مجرد فرضيات حاول العلماء من خلالها تفسير كيفية حدوث ذلك التحوّل الهام في تاريخ البشرية وعلى إثرها دخل الإنسان عصرا جديدا هو العصر الحجري الحديث، وتجدر الإشارة هنا إلى أن التدجين اختلف تاريخه من منطقة إلى أخرى، ويبدو أنّ منطقة الشرق الأدنى كانت لها الأسبقية في ذلك للكثير من الحيوانات، كما أنّ هذه الأخيرة لم تُدجّن فيها كل الحيوانات في وقت واحد فهناك حيوانات دُجّنت منذ الألف التاسعة قبل الميلاد مثل الماعز والأغنام والخنازير وهناك حيوانات دُجّنت خلال الألف الثامنة قبل الميلاد كالأبقار...

ومن هنا كان الماعز والأغنام أُولى الحيوانات المدجّنة، فهي حيوانات تنزع للعيش معا لأنّها حيوانات اجتماعية بدرجة كبيرة وتتبع قائدا مسيطرا، كما أنّها تطيق التغذية والإنسال في بيئة مقيدة، فتتعوّد بمرور الوقت أن ترى الصيادين وهم يمشون أمامها، ولقد تعلّم الصيادون أنّه بالإمكان احتباس القطيع داخل حظيرة كبيرة، أو لعلّهم قد أمسكوا بمجموعات من الصغار وحبسوها لأكلها فيما بعد ثم نضجت الحيوانات وتناسلت، وسرعان ما أصبح هناك فائض من الذكور، وهكذا أخذ الناس يفرزونها ويبقون على الإناث لتنجب المزيد من الصغار، ومن هنا أدّت إلى انتخاب الحيوانات الطيّعة عالية الإنتاج والتي تتناسل في الأسر، وعندما عزل الصيادون قطعانا برية بغرض الإنسال الانتخابي تحت رعاية البشر، أنتجوا هكذا ماعزا مدجّنة تُنتج إمدادا منتظما من الحليب، الذي سرعان ما غدا طعاما أساسيا للسكان، كما أنتجوا غنما من أجل استغلال أصوافها[1]. فنشأت خلال هذه الفترة أحد أهم التأثيرات البشرية على العالم الحيوي من خلال تدجين النوع البري الذي أدّى إلى تعديلات جينية وسلوكية على الحيوان البري، وبالتّالي تحديد حيّزه الجغرافي كما أدّى إلى تأثيرات واضحة على حجم وكميات الثدييات البرية[2].

2.بدايات التدجين في الصحراء: لقد عُثر ضمن هذا المجال الشاسع من الصحراء على مواقع بها عظام حيوانات مدجّنة لأغنام وماعز وخصوصا البقريات بالصحراء الوسطى منها في منطقة الطاسيلي ناجر والأهقار وتُؤرّخ ما بين 7500 ق.م و3700 ق.م ومنها موقع يان تيلوكات وموقع تادرارت الأكاكوس الذي عُثر فيه على عظام بقريات تُؤرّخ بـ 6900 ق.م،[3] ومن الممكن أن تعود أولى محاولات

[1] - نفسه، ص135.

[2] - مصطفى صادق أزهري، "بيئات عصر الهولوسين والتغير الثقافي في نهر النيل الأوسط"، مجلة أدوماتو، ص33.

[3] - Cornevin (M.), "les Néolithiques du Sahara central et l'histoire générale de l'Afrique", BSPF,

عملية التدجين تعود لمرحلة الصيادين، إذ نرى مشاهد لحيوانات مربوطة بعمود أو بصخرة، حيث تبقى لمدة معينة على قيد الحياة قرب الإنسان حتى تتعود عليه، ونرى البعض يلمسونها أو يحلبونها[1]، ويُمكن اعتبار المرتفعات الصحراوية أولى المواقع التي شهدت عملية التدجين وهذا نتيجة للجفاف الذي دبّ في المنطقة عبر مراحل لاسيما ذلك الجفاف الذي حدث منذ 14000 ق.م ونتج عنه نقص الطرائد وبالتالي البحث عن مصادر جديدة من خلال الهجرة نحو مناطق جبلية[2].

فمع ندرة مصادر المياه اتّجه كلاّ من الإنسان والحيوان نحو نقاط الماء القليلة الأمر الذي قرّب شيئا فشيئا الإنسان والحيوان من بعض ما نتج عنه فكرة السيطرة والمراقبة نهائيا للقطعان، خاصة قطعان البقريات وهذا ما تُبيّنه الرسوم والنقوش الصخرية، ومهما يكن من أمر فإنّ تدجين البقريات قد تم قبل الألف الرابعة قبل الميلاد في منطقة الصحراء الوسطى[3]. أما تدجين الأغنام فتعود حسب موزوليني (A. Muzzolini)[4] إلى المرحلة النيوليتية الوسطى أي ما بين 5700 و4200 ق.م.

غير أنّ لوت[5] يُعارض الرأي الأخير، ويرى من جهته أنّ تدجين الأبقار قد سبق تدجين الحيوانات الأخرى بما فيها الأغنام والماعز في هذه المنطقة، ويستند في هذه الفرضية على مشاهد الفن الصخري، وقد تمّ ذلك على يد شعوب ذات أصول بيضاء، وليس من أجل استهلاك لحمها فحسب بل كذلك من أجل شرب حليبها، ولهذا نرى على الفن الصخري عدة مشاهد لحلب الأبقار **(انظر الشكل1)**، كما أشار نفس المؤرخ من جهة أخرى لوجود حظائر حقيقية للبقريات تعود للعصر الحجري الحديث في وديان الطاسيلي ناجر على مقربة أو أمام المخابئ، حيث يبلغ ارتفاع جدران تلك الحظائر حوالي واحد متر، أو تكون في مفترق طرق واسع على سفوح الوديان، كما يشمل حتى السكان

Année 1982, Volume 79, Numéro 10, pp443-444.

[1]- لخضر بن بوزيد، **حضارات الرعاة في النيوليتي بالطاسيلي والهوقار من خلال الفن الصخري (6000 ق.م- 1000 ق.م)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة الجزائر2، 2015-2016، ص223.

[2]- Cornevin (M.), op .cit, pp443-444.

[3] - Camps (G.), "Origines de la domestication en Afrique du Nord et au Sahara", In: RFHO-M, tome 65, n°240, 3e trimestre 1978, p365.

[4] - Muzzolini (A.), "les premières moutons saharien d'après les figurations rupestres", Archéozoologia, vol 12 1987, p133.

[5] - Camps (G.), "Origines de la domestication en Afrique du Nord et au Sahara", pp366-367.

أيضا، ومهما يكن فإنّ منطقة الصحراء كانت خلال العصر الحجري الحديث مركزا هاما عرف تدجين بعض الحيوانات كالأبقار والأغنام والماعز وغيرها، سواء كانت أصولها أجنبية أم محلية وهذا ما تشير إليه مشاهد الفن الصخري العديدة[1].

ومن المشاهد التي تشير لعملية التدجين، رسم أبقار وهي مسرّجة ما يعني أن الإنسان قد استغلها في التّنقّل وحمل الأمتعة، وكذلك نرى أبقارا وهي مزيّنة بأقراط أو أجراس تتدلّى من رقبتها مثلما نشاهد ذلك بأحد الرسوم بمنطقة وادي جرات، ويمكن إضافة صور بعض الحيوانات كالأبقار والكباش وهي تحمل قرص الشمس ما بين قرنيها، والتي تعد دليلا على عبادة الشمس والمرتبطة بالخصوبة، ومن جهة أخرى، هناك رسوم تصور رجال بقضيب بارز، وهذا يشير للتدجين، فهذه المشاهد ترتبط بالرعاة الباحثين عن الخصوبة ونماء القطعان[2].

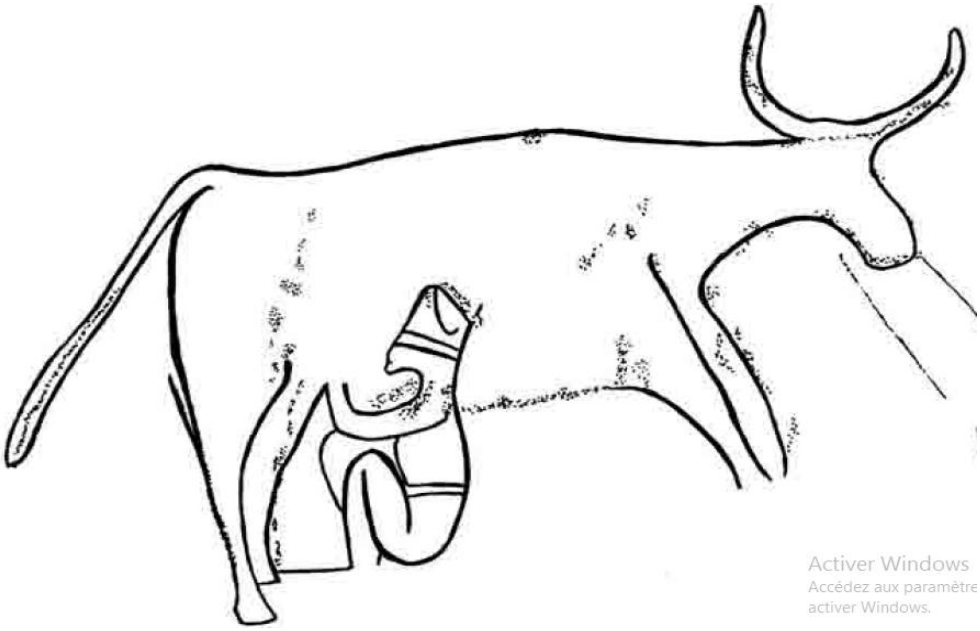

الشكل (1): شخص يحلب بقرة على رسم صخري بمساك (فزان)

- Gauthier (CH.), ACTES " les mats dans l'art rupestre du Messak (Fezzan)", AARS 1995 / 1996, p36.

3.أهم الحيوانات المدجنة في منطقة الصحراء:

[1] - Leclant (J.) et Huard (P.), op.cit, pp495-504.

[2] - لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص ص223-224.

1.3. الكلب: يتفق كلّ الباحثين يتّفقون على أنّ الكلب أولّ حيوان دجّنه الإنسان منذ العصر الحجري الوسيط على أقلّ تقدير، وقد يعود في نظر البعض إلى العصر الحجري القديم الأعلى[1]، لكن الكثير من الدراسات ترى أنّ تدجين الكلب لا يزيد عن 14000 ق.م في الكثير من المناطق عبر العالم وعبر آلاف من السنين[2]. لكن كيف تم تدجين الكلب؟

من الممكن كما يعتقد كوبينجر (Raymond Coppinger) أنّ الكلب يتردّد بالقرب من المساكن من أجل أن يقتات من نفايات أهلها ممّا خلق نوعا من الألفة معهم مع طول التردّد، هذا الأمر كان طريقا نحو الاستئناس ثم التدجين الحقيقي، فاستغل الإنسان دور هؤلاء الحراس أو المساعدين له في عملية صيد الطرائد، وبعد عشرات الأجيال أصبحت صفة "التدجّن" صفة متوارثة من أجل العيش مع الإنسان والاتصال به[3]. وهناك جملة من الخصائص السلوكية والإحيائية سهّلت على الإنسان تدجين الكلب، أولى هذه الخصائص أنّ الكلب حيوان شبه مقتات لكل شيء من لحوم ونبات، ومن هنا فإنّه يشبه الإنسان في تنوّع غذائه وبتواجده بالقرب منه يوفّر له المأكل والمشرب الأمر الذي أدّى بهذا الحيوان بأن يقبل بأن يلامسه ويلاطفه[4].

ومن الممكن أنّ أناس العصر الحجري الوسيط كانوا يحتضنون في مواضيع عديدة بعض الكلاب الصغيرة كنوع من اللعب الحيّة التي يميل إليها الإنسان بطبعه وهكذا أصبحت هذه الكلاب بمثابة رفاق اللعب وأقدم صديق للإنسان قبل أن تتحوّل بمرور الزمن إلى أعضاء فعّالة في عملية صيد الطرائد وفي حراسة القطعان والحقول[5].

أما بالنسبة لمنطقة الصحراء الجزائرية فقد عرف الإنسان النيوليتي فيها تدجين الكلاب وهذا ما تُؤكّده العديد من بقاياه المتحجرة التي عُثر عليها في طبقات العصر الحجري الحديث، ونذكر منها موقع ايليك (Aelik) وموقع تيهودين، كما برزت صور الكلب المدجن على الفن الصخري لكنّ أغلبها

---

[1] - Belnet (F.), "les premières domestications", 10, Historia, Juin 2013, p 19.

[2] - Francq (E.), **Les origines des races européennes de chiens de berger**, thèse pour le doctorat véterinaire, la faculité de medecine de Créteil, 2007, pp 13-14 ; Frédéric Belnet, op.cit, p 19.

[3] - Francq (E.), op.cit, p21.

[4] - التجاني الماحي علي، المرجع السابق، ص32.

[5] - كامبس غابريال، **العصر الحجري الحديث في منطقة البحر المتوسط**، منشورات المتوسط، تونس، 2000، ص14.

يعود للفترة المتأخّرة وبأسلوب خيلي (style équidien)،[1] وعلى العموم نتعرّف على نوعين من الكلاب عاشا في المنطقة وهما:

الكلب القبائلي: له ذيل متدلي وأذنان منصبتان ويعرف حاليا كذلك " بكلب رعاة الأطلس " وهو كلب حراسة يقظ جدا ويمتاز بالعدوانية والشراسة لاسيما إذا ما تم ربطه، ويمكن تفسير هذه العدوانية بأنّه مروّض من أجل المشاركة في الحروب خاصة من طرف قبائل الغرامنت، كما استعمل في عمليات الصيد، وقد جُسّدت صوره في عدة نقوش صخرية لمنطقة الأطلس الصحراوي نذكر منها: عين مارشال وتيوت ومردوفة وخنقة الحجر[2] وكذلك بالرصفة الحمراء من تحت حيث يبرز رجل مسلح بالقوس ويرمي سهامه على كباش يبدو أنّها في حالة وحشية، كما نرى في واد جرات مقاتلا مسلّحا بالسهام رفقة كلبه[3].

الكلب السلوقي: وهو كلب رشيق الجسم طويل القوائم دقيق الخطم طويل الذيل صغير الأذنين، سريع في السباق رفيق الإنسان في صيد الطرائد كالأرانب والغزلان،[4] تعمّم استعماله مع نهاية العصر الحجري الحديث، وهو متكيّف مع الوسط الصحراوي ويطلق عليه بومل "الكلب الجيتولي" وهو سلف الكلب الإفريقي، ويرى إسبرنديو[5] أنّ هناك نوعين من الكلاب المدجنّة ظهرت في الصحراء كان يستعملها الإنسان في صيد الطرائد وهذا بعد تحليله الدقيق للرسوم الصخرية في نهر النيل والصحراء وهما:

الأول ويتميّز برأس طويل وجمجمة مستقيمة وجسم رشيق وذيل دائري.

---

[1] - Espérandieu (G.), Coppé (G.), et Chaker (S.), « Chien », E.B, in *13,* Aix-en-Provence, Edisud, 1994, p1919.

[2] - Ibid, pp1920-1921.

[3] - Lhote (H), **les gravures rupestres de l'oued Djerat (Tassili N-Ajjer)**, tome 2, mémoires du centre de recherches Anthropologiques préhistoriques et ethnographiques , Alger, 1976, p787.

[4] - Precheur-Canonge (T.), **la vie rurale en Afrique romaine d'Après les Mosaïques**, presses universitaires de France, Paris, 1962, p72.

[5] - Espérandieu (G.), "domestication et elevage dans le nord de l'Afrique au neolithique et dans protohistoire d'après les figurations rupestres", congrès panaficain de préhistoire, Alger, 1952, p570.

الثاني وهو كلب عادي برأس هرمي وجسم أسطواني وذيل قصير، وعاش بصفة خاصة في منطقة الصحراء الوسطى.

ولم يُمثّل الكلب على الفن الصخري بشكل جيد، ففي الكثير من المرات يصعب تمييزه عن الذئب، ونرى في فزّان جنوب ليبيا عدّة كلاب ذات شكل قصير تشارك في عملية صيد النعام، كما برز في منطقة الأطلس الصحراوي وهو يطارد حيوانات وحشية خصوصا الجواميس، ومن الصعب تحديد نوع هذه الكلاب المنقوشة، فإذا كان بواد جرات بدون شك من نوع التيسم، فبالمقابل تبدو في منطقة الجنوب الوهراني كلاب قصيرة وضامرة كالكلب السلوقي، ونرى بإحدى نقوش منطقة الطاسيلي ناجر ثلاثة كلاب **(انظر الشكل2)**.[1]

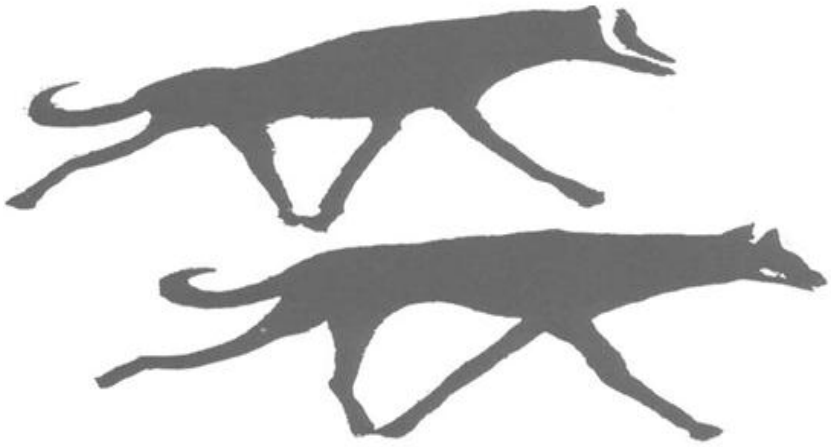

الشكل(2): كلبان مرسومان بالطاسيلي ناجر

Espérandieu (G.), Coppé (G.), et Chaker (S.), op.cit, p1923

وعموما فقد استعان الإنسان بالكلاب في عمليات الصيد من خلال مقدرة هذا الأخير في تتبّع وملاحقة الفريسة وتعطيلها، أو جلبها من المناطق الوعرة التي لا يستطيع الإنسان دخولها، وكذلك إفزاع الحيوانات وطردها إلى المناطق المكشوفة[2].

2.2.3.الغنم: تعود بدايات تدجين الأغنام إلى حوالي الألف التّاسعة قبل الميلاد بزاوي شمي وكهف شانيدار بالعراق، وبعد ذلك انتشرت الأغنام المدجّنة في دول حوض البحر المتوسط كمنطقة شبه

[1] - Lhote (H.), **les gravures rupestres de l'oued Djerat**, p788.

[2] - التجاني الماحي علي، المرجع السابق، ص35.

جزيرة البلقان بأرجسيا عام 7200 ق.م وبشاتال هويوك جنوب الأناضول منذ عام 6500 ق.م[1] وفي إسبانيا ومصر خلال الألف السادسة قبل الميلاد، أما ببلاد المغرب فإنّ أقدم المواقع التي عُثر بها على بقايا أغنام مدجنّة بموقع هوافتيح بشرق ليبيا والمؤرّخ بـ 4800 ق.م حسب موزوليني[2].

والسؤال الذي يُطرح هنا: ما هي أصول الخروف المدجّن؟

لا يوجد نموذج للأغنام بري أصلي كان السلف الأول للأشكال المدجّنة بالمغرب القديم والصحراء كما يرى البعض[3]، ولا يُمكن أن تكون الأروية ذات المعاصم (*Ammotragus lervia*) هي الأصل الأوّل للأغنام بها، بل إن هذه الأروية لا يُمكن اعتبارها حتّى من الأغنام وإنّما هي فصيلة خاصّة وتقترب من فصيلة العنزيات أكثر[4]، وتتزامن بدايات تدجين الحيوانات ومن ضمنها الخراف بالمناطق الساحلية والتلية مع ظهور الفخار ولم يكون تدجينها سابقا له، وبالتالي ومن خلال تحاليل البقايا الأثرية يُمكن القول أنّ دخول الأغنام منطقة التل المغاربي قد رافق دخول الفخار الكارديالي والمطبوع من أوروبا عبر إسبانيا[5] حيث عُثر في أقصى شمال غرب بلاد المغرب في مغارات أشكار قرب مدينة طنجة على بقايا الفخار الكارديالي وبقايا عظمية لخراف من الممكن أن تكون مدجّنة ما بين 6000 ق.م و4500 ق.م قياسا على نظيرتها بإسبانيا **(انظر الخريطة رقم 1)**[6]. أما لوت (Lhote)[7] فيرى أن تدجين الأغنام في منطقة الصحراء قد حدث ما بين 6000 و5000 ق.م، لكن دون أن يحدّد أصولها.

ولا يستبعد الباحث لخضر بن بوزيد[8] أن يكون تدجين الأغنام قد تم محليا، بما أنّها قد كانت تعيش في الصحراء لكن في حالة برية منذ مرحلة الحضارة الإيبرو مغربية، وكانت من بين الحيوانات التي قام سكان الصحراء باصطيادها كالأيائل والغزلان، ولا سيما أن كانت جد ملائمة، في زمن بدأت

---

[1] - Camps (G.), **la préhistoire a la recherche du paradis perdu**, librairie Académique Perrin, Paris, 1982, p280.

[2] -Muzzolini.(A.), "les premières moutons saharien", pp132-133.

[3] -فيليبسون ديفيد، **علم الآثار الأفريقي**، تر: أسامة عبد الرحمن النور، منشوراتELGA، فاليتا، مالطا، 2002، ص 213.

[4] - Camps (G.), **La préhistoire A la recherche du paradis perdu**, p281.

[5] - Camps (G.), "Origines de la domestication en Afrique du Nord et au Sahara", p 372.

[6] - Muzzolini (A.)," les premières moutons saharien d'après les figurations rupestres", p134.

[7] - Lhote (H), "les gravures rupestres de l'atlas saharien", p225.

[8] - لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص ص318-319.

محاولات الإنسان تجديد الحيوانات.

ويُميّز المختصّون في الحيوانات القديمة عدّة أجناس للأغنام في منطقة الصحراء ومن أشهرها نذكر **الجنس السوداني** كما يُطلق عليها أيضا اسم "الخرفان الهيفاء" (*Ovis Longipes*)، وتعيش هذه الأغنام في جنوب المغرب والصحراء، ويتميّز بجمجمة ضيقة وحنك ممتلئ وقوائم عالية ورقيقة وذات ذيل طويل ودقيق وأبدانها لا تغطيها الأصواف بل عليها شعر شبيه بشعر الماعز[1]، وله قرنان قصيران ومعقوفان على غرار الكبش المصري المعروف بأمون **(انظر الشكل3)**[2]، وكثيرا ما مُثّل هذا النوع من الأغنام على الفن الصخري بمنطقة الأطلس الصحراوي كموقع خنق الهلال وعين الناقة وقصر الأحمر وموقع خلوة سيدي الشيخ وكما برز بمنطقة الصحراء الوسطى، وهو خروف مدجن وأصله من الخارج، ويبرز في الغالب بقرص شمسي على رأسه بعين الناقة وببوعلام[3]، وتجدر الإشارة هنا أنّ الخراف تحتلّ رفقة الجواميس أغلبية الحيوانات المنقوشة في هذه المنطقة بعددها الممثّل بطريقة استثنائية ولا تعود كلها إلى مرحلة تاريخية واحدة[4]. ونتج عن تهجين هذه السلالة مع كباش المنطقة الشمالية فأعطت لنا نوعا جديدا سماه الطوارق سيداوم (*Sidaoum*) مازال يعيش حاليا، ويتميّز بجلده ذو الشعر الأسمر وصوفه الأبيض، وهذا النوع بإمكانه مقاومة قساوة المناخ[5].

---

[1] - قزال استيفان، **تاريخ شمال أفريقيا القديم**، التازي محمد سعود، ج 1، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007، ص 191.

[2] - Muzzolini (A.), "les premièrs moutons sahariens d'après les figurations rupestres", p137.

[3] - Camps (G.), "Origines de la domestication en Afrique du Nord et au Sahara", p 372.

[4] - Aumassip (G.), **trésors de l'Atlas**, ENAL, Alger, 1986,p58.

[5] - حدادو يوغرطة، **أهم مشاهد الحيوانات الطبيعية الكبرى في محطات النقوش الصخرية للأطلس الصحراوي**، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 41.

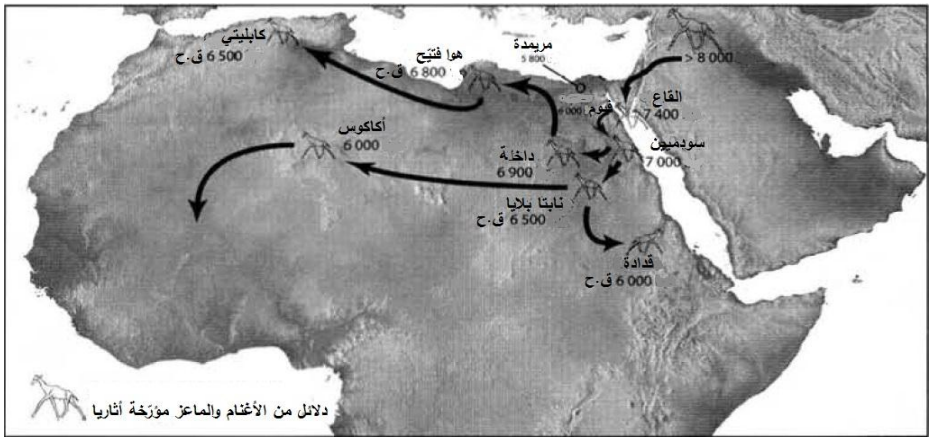

خريطة (1) توضح أقدم يقايا الأغنام والماعز في شمال أفريقيا والصحراء(بتصرف الباحث)

Le Quellec (J-L.), "L'adaptation aux variations climatiques survenues au Sahara central durant Holocène", p115.

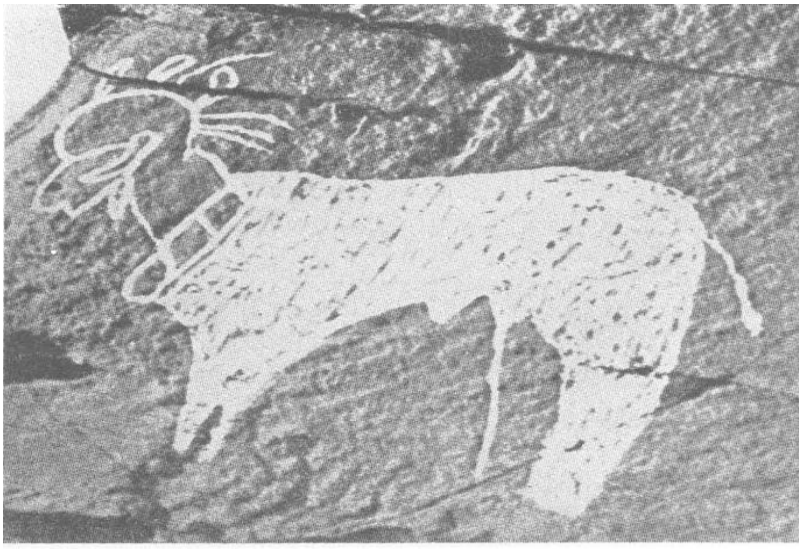

الشكل (3): كبش مرسوم بزناقة

Camps (G.), « Bélier à sphéroïde », E.B, in *9*, Aix-en-Provence, Edisud, 1991, p1417.

3.3. الماعز: يعتبر الماعز من أقدم الحيوانات التي دجّنها الإنسان في الشرق الأدنى وكان ذلك على الشواطئ الجنوبية لبحر قزوين وفوق المرتفعات الإيرانية للهلال الخصيب وشمال العراق بمنطقة كردستان، ومن مواقعها زاوي شمي وكهف شانيدار ومستوطنة غانج داره التي تمكّن سكانها من رعي

قطعان الماعز المدجنة منذ الألف الثامنة قبل الميلاد[1]، أمّا قطعان الماعز المدجّنة ببلاد المغرب فتعود إلى الألف الخامسة قبل الميلاد،[2] وأصل الماعز هو الماعز الوحشي (*Caprus hircus aegagrus*) الذي كان ينتشر في منطقة فسيحة تمتد من اليونان إلى نهر السند، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الماعز محيطه الطبيعي البدائي أقرب إلى المرتفعات الجبلية[3].

ولقد عثر بومل على بقايا عظمية لماعز بالصخر الكبير بالعاصمة منحه اسم كابرا بروموزا (*Capra promoza*) واعتبره السلف الأول الماعز المحلي المعروف بالماعز القبائلي الذي يعيش حاليا ويتميّز بشعره الطويل وبحجمه الصغير وقرونه الصغيرة والمنفرجة[4]، ويتراوح لونه ما بين البنّي الدّاكن واللون الأسود وله أذنان متدليتان وأنف ذو كسر بارز نوعا ما[5]، كما عُثر بكهف الضباع بالأوراس على مجموعة من المستحثّات الحيوانية من بينها عرقوب قرن واحد لماعز تؤرخ بمرحلة الهولوسين (12000 ق.م إلى اليوم).[6] لكن هناك من يذهب إلى أنّه لا توجد أصول محليّة للماعز المدجّن بالمغرب القديم بل جُلب إلى المنطقة من مكان آخر يُرجّح أن يكون من الشرق الأدنى عبر مصر[7].

ولم يُمثّل الماعز إلّا في مشاهد قليلة على **الفن الصخري** على الرغم **من** فوائده الجمّة للبدو، ففي منطقة الأطلس الصحراوي برز في بعض الرسومات بذيل قصير وأنف ذو شكل مقعر وقرون منحنية وحادّة مثلما هو الحال في مشهد بموقع الحمراء[8]، ونرى في موقع عطف الغراب عنزتين

---

[1]- فاغان براين، المرجع السابق، ص133.

[2]- Roubet (C.), "économie pastorale préagricole dans l'Aurès néolithique", DA, n 282 Avril 2003, p65.

[3] - Camps (G.), **La préhistoire A la recherche du paradis perdu**, p281.

[4] - Camps (G.), "Origines de la domestication en Afrique du Nord et au Sahara", p370.

[5] - Espérandieu (G.) et Chaker (S.), E.B, « Chèvre », in *13,* Aix-en-Provence, Edisud, 1994, p1913.

[6] - عبد الوهاب بدر الدين وهيبة، "دراسة باليونتولوجية وأيكولوجية لمفردات ومزدوجات الأصابع لموقع كهف الضباع المحفوظة بالمتحف الوطني سيرتا"، منشورات المتحف العمومي بخنشلة، 2014، ص76.

[7] - فيلبيسون دفيد، المرجع السابق، ص 245.

[8] - Aumassip (G.), op.cit, p66.

تتناطحان، وبموقع الريشه يبدو لنا أسدا يهاجم قطيعا من الماعز[1]، ويحتمل أن تدجين الماعز في موقع تين هاكتن جنوبي الطاسيلي قد حدث منذ الألف السابعة قبل الميلاد، كما نرى قطيعا من الماعز في موقع تادرارت (**انظر الشكل4**)[2]، ولم يُمثّل في بواد جرات بالصحراء الوسطى خلال مرحلة الجواميس إلّا في خمسة مشاهد إذ يبرز في أحدها بشعر طويل وقرون منحنية ودقيقة كما برز ماعز صغير بتخطيط مختصر بقرون صغيرة ومستقيمة وذيل قصير[3].

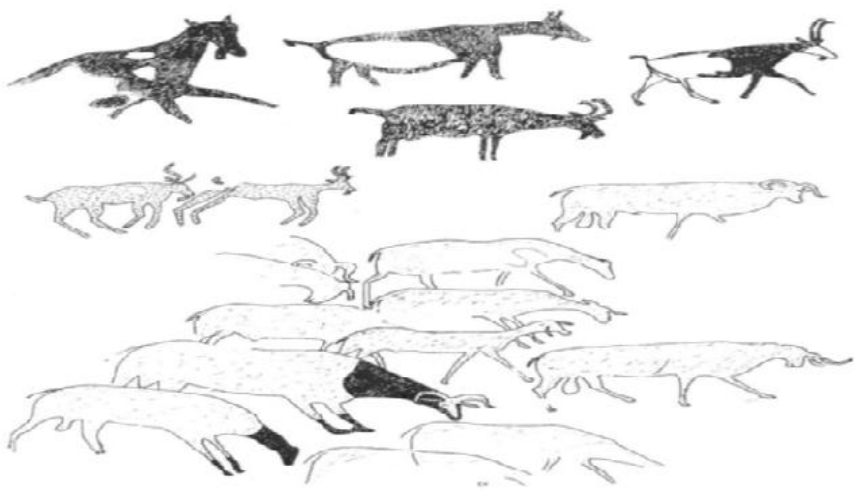

الشكل (4): قطيع من الماعز والأغنام بمنطقة تادرارت

المرجع: ليندة ماجي، المرجع السابق، ص34.

4.3. الأبقار: عاشت في بلاد المغرب القديم والصحراء منذ عصور ما قبل التاريخ عّدة أنواع من الأبقار منها من انقرض ومنها من مازال موجودا إلى اليوم، وتختلف هذه الأنواع فيما بينها نسبيا من حيث الحجم واللون وخصوصا في شكل القرون، وهذا ما تُشير إليه المصادر الكتابية وتُؤكّده المصادر المادية كالفن الصخري.

أمّا فيما يتعلق بأقدم الأبقار المدجّنة، فقد تمّ العثور على عدّة بقايا عظمية لأبقار مدجّنة في

---

[1] - Lhote (H), **les gravures rupestres de l'atlas saharien ; monts des Ouled-Nail et région de Djelfa**, O.P.N.T, Alger, 1984, p245.

[2] - ماجي ليندة، "الماعز في بلاد المغرب القديم بين الشواهد الأثرية والمصادر المادية"، مجلة عصور الجديدة، المجلد 10، العدد 4، ديسمبر 2020، ص24.

[3] - Lhote (H.), **les gravures rupestres de l'oued Djerat**, p786.

مغارات تعود للعصر الحجري الحديث[1] حيث أشارت بعثة إيطالية قامت بأبحاث أثرية بفزان خلال عقد الستينات من القرن الماضي وعثرت على بقايا عظمية لبقريات مدجّنة من نوع الثور البدائي ويُؤرّخ تدجينها بحوالي 7430 ق.ح، ويعتقد أنّ تدجينها كان محليا، غير أنّ هذا التاريخ لا يلقى قبولا من طرف أغلب الباحثين، في حين يتّجه البعض إلى اعتبار العظام التي عُثر عليها في مغارة كابلتي (Capéletti) بمنطقة الأوراس أقدم الأبقار المدجّنة في المنطقة والتي تؤرخ بـ 6530 ق.م، وبعضها يُؤرّخ بـ 5100 ق.م، أما بدايات التدجين في الصحراء الوسطى فتعود إلى الألف السادسة قبل الميلاد والتي كانت أصولها محلية[2]. وتعتقد شايد ياسمينة أن منطقة الصحراء الوسطى مركز إشعاع حضاري هام، عرف تدجين الأبقار والاعتقاد فيها، ومنه انتشر شرقا في مصر والسودان[3].

ويُعتبر **الفن الصخري** من أحسن الشواهد المادية التي تشير للأبقار المدجّنة على الرغم من الغموض الذي يكتنف بعض المشاهد، منها مشاهد الثور خلال مرحلة الجاموس بخصوص حالته: وحشيا أم مدجّنا على الرغم من أنّه يحمل ما بين قرنيه صفات أو عقود وأنواط في رقبته، إذ يعتبر هنري لوت[4] أنّ هذه التزيينات غير كافية بأن تثبت بأنّها أبقار مدجّنة، فمن الممكن اعتبارها أنّها كانت في مرحلة قبيل التدجين ومحاولة القبض عليها فحسب، لأنّ الكثير من المشاهد تجمع بين الحيوانات البرية كوحيد القرن والفيل والنعامة والحيوانات المدجّنة أو التي في طريق التدجين مما يُصعّب من التمييز بينها، فمثلا صورة الثور المُمتطى أو الحامل للإنسان (le bœuf porteur) يُعبّر عن نمط عيش نصف الترحال أي تجمّع في الواقع بين نمطين معيشيين: نمط الصيد ونمط الرعي، بحيث لم يتمكّن هذا النمط الأخير من فرض وجوده بصورة نهائية والتوقّف عن عملية الصيد[5].

ومهما يكن، فقد جمع الفن الصخري ما بين الأبقار الوحشية والأبقار المدجّنة، حيث تنتمي هذه الأخيرة بالخصوص لمرحلة "البقاريات"، وتُؤرّخ الأبقار المدجنة مثلا في الصحراء الوسطى على الأقل بما قبل الألف الرابعة قبل الميلاد، فتعود بمنطقة جبارين بـ 3550 ق.م، وبموقع صفار يعود لـ 3070

---

[1] - Camps (G.), "Origines de la domestication", p370.

[2] - Le Quellec (J-L.), "L'adaptation aux variations climatiques", pp 114-115.

[3] - ياسمينة شايد سعودي ونجيب فرحات، "مقبرة البقريات لموقع منخور بالصحراء الوسطى"، مجلة الدراسات الأثرية، عدد1، الجزائر،1992، ص 102.

[4]- Lhote (H.), **vers D'autres Tassilis**, Arthaud, Paris, 1976,p66.

[5] - أوعشي مصطفى، "إسهام النقوش الصخرية بالجنوب المغربي في التعرف ببداية استئناس الحيوانات"، مجلة المناهل، عدد 58، السنة الثالثة والعشرون، مارس 1988، ص 38.

ق.م، ويمكن القول أنّ الطور البقري أو الرعوي قد استمر على الأقل لمدة ألفي سنة، وقد تراوحت أنواع الأبقار المُصوّرة على الفن الصخري ما بين الثور الإفريقي **(انظر الشكل5)** والثور البدائي والثور ذو القرون القصيرة[1]، والثيران الإيبيرية والثيران دون قرون غير أنّ هذه الأخيرة صُوّرت بعدد قليل[2]، وجاءت بلون واحد وهو اللون الأصهب أو الأسود أو الأبيض أو متعددة الألوان: ما بين الأسمر والأبيض والأسود [3].

الشكل (5): بقرة مرسومة بالطاسيلي ناجر

- Le Quellec (J-L.) "À propos d'un site inédit de l'Akukas: Contribution à l'iconologie du style d'Iheren", Cahiers de l'AARS, N° 14, Mai 2010, p 191.

وقد أبرزت بعض النقوش الصخرية ضروع البقر وهي تُحلب الأمر الذي يوحي بأنّ تدجين الأبقار كان مؤكدا، كما يشير من جهة أخرى وإلى اهتمام الإنسان بالحليب وبطريقة الحصول عليه وإدراكه لأهميتها في التغذية[4]، فقد أشار الباحثون لوجود اسطبلات للأبقار في وديان الطاسيلي ناجر على مقربة أو أمام المخابئ، وكانت محصورة بجدران صغيرة لا يتجاوز علوها واحد متر[5].

[1] - Camps (G.)," Origines de la domestication", pp 365-366

[2] - Leclant (J.) et Huard (P.),op.cit, p501.

[3] - Camps (G.), "Origines de la domestication", pp 365-366.

[4] - أوعشي مصطفى، المرجع السابق، ص42.

[5] - Camps (G.)," Origines de la domestication", p367.

5.3. الحصان: يتّفق الكثير من الباحثين على حداثة الحصان المدجّن في بلاد المغرب القديم والصحراء، حيث اعتبر دخيلا عليها، فيذهب قزال (Gsell)[1] مثلا إلى أن الحصان كان حيوانا أجنبيا عن حيوانات المغرب القديم، وأنّ الإنسان قد أدخله في عهد حديث نسبيا، فقد دخل الحصان من مصر في عهد الدّولة الحديثة أي في حوالي القرن 16 ق م، أمّا قبل ذلك فإنّه غير معروف فيها، والمُؤكّد في نظره أنّ الحصان قد استخدمه الإنسان في أسيا الغربية قبل استخدامه في نهر النيل. ثم توسّع انتشاره نحو الجنوب سريعا في السودان، وظهرت في ما يُعرف بسلالة دانقولا، وهي سلالة شبيهة بالحصان البربري، ثم توسّع انتشاره نحو الغرب حيث تعيش القبائل الأفريقية شرق ليبيا الحالية[2].

ويذهب كامبس (Camps) [3] إلى عدم وجود حصان حقيقي في بلاد المغرب القديم خلال القسم الأكبر من مرحلة الهولوسين، ومع ذلك لا تنعدم الخيليات تماما، فقد عثر ارامبورغ في الطبقة فيلافرانشية في عين الحنش على عظام لحمار الزرد بدائي، ولا يُعرف إن كان هذا الأخير السلف المباشر لعدد كبير من الحمر الوحشية التي عاشت في المنطقة خلال عصور ما قبل التاريخ والفترة التاريخية.

ويُعتقد أنّ أوّل استخدام للحصان في الصحراء الجزاشرية تمثّل في جرّ العربات، إذ وُجدت ما يقارب مائتا صورة نقشية لعربات تقودها خيول، والبعض منها يعدو فوق سطح الأرض بقوة كأنّه لا يلامسها، وقد كانت أغلب المناظر حريصة على إبراز صور الجواد المنطلق وكأنّه طائر[4]، وتشير المصادر المصرية في هذا السياق إلى حملة الملك رعمسيس الثالث (1183-1152 ق.م) لتأديب القبائل الليبية التي أرادت احتلال منطقة الدلتا سنة 1187 ق.م، واستولى على إثرها الجيش المصري على عدد كبير من الغنائم من بينها الحمير والخيول والكثير من العربات الليبية[5].

وإذا افترضنا أنّ أصول استخدام العربة والحصان أجنبية، فإنّ السؤال الذي يُطرح هنا: من

---

[1] - قزال استيفان، ج5، المرجع السابق، ص ص195-196

[2] - Camps (G) et autres, **les chares préhistoriques du Sahara , archéologie et techniques d'attelages** , Aix-en-provence,1982 , p 14.

[3] - ibid,p p 9-12.

[4] - فرحاتي فتيحة، **نوميديا من حكم جايا إلى بداية الاحتلال الروماني**، منشورات أبيك، الجزائر،2007.ص224.

[5] - بن علال رضا، "العربات القتالية في المغرب القديم"، حوليات المتحف الوطني للآثار القديمة،ع14، 2005 ، ص6.

أين جلبا؟ وما هي الطرق التي دخلا عبرها لمنطقة المغرب القديم والصحراء؟

من الممكن أن يكون دخول الحصان والعربة كان عبر أحد الطريقين الآتيين:

- **الطريق الأول**: انطلق من مصر واتّجه غربا نحو السيرت الكبرى، ثم ينعطف نحو الجنوب الغربي عبر فزان جنوب ليبيا ومنها لمنطقة الطاسيلي ناجر والأهقار.

- **الطريق الثاني**: كان نحو الشمال الغربي باتّجاه طرابلس وجنوب تونس، ويرى آخرون أنّ إدخال العربة والحصان المدجّن إلى المغرب القديم كان مباشرة من الشرق الأدنى القديم عن طريق البحر من طرف الوسطاء الفينيقيين، غير أنّ دور هؤلاء لا يعدو أن يكون مجرّد تأثير ثانوي ومتأخّر[1].

لقد تمّ العثور على بقايا عظمية لحصان متحجّرة في إحدى ضواحي الجزائر العاصمة خلال سنتي 1982-1983، وهو معروف في عدّة مواقع جزائرية أخرى[2] من بينها موقع كلومناطة المؤرخ بحوالي 10800 قبل الحاضر، حيث عُثر الذي يعود لمستويات الحضارة الإيبرو مغربية، وممّا أكّد صحة هذه المعلومات ومنحها أقدمية أكبر هو العثور على بقايا هذا الحصان في طبقات الحضارة العاترية (40000-25000 ق.م) التي تنتمي إلى العصر الحجري القديم الأعلى وتؤرّخ بـ 30000 سنة،[3] كل هذا جعل الباحثة سعودي ياسمينة [4] تؤكّد على أنّ "أصل الحصان في المغرب محلي وأذهب إلى أبعد من هذا وأقول أنّ تطور استعمالاته محلي أيضا، إذ أننا بعدما نعثر عليه مصطادا من طرف إنسان العصور الحجرية، نراه في العصر الحجري الحديث مركوبا ثم مسروجا ثم جامحا يجرّ العربات الحربية".

ويُعدّ **الفن الصخري** بنقوشه ورسومه أقدم وثيقة تتحدّث عن الحصان، وإن أُرّخ بمرحلة الخيول أي بالألف الثانية قبل الميلاد، فإنّ بعض الباحثين يردّون بعض النقوش المتضمّنة للحصان إلى أقدم من هذا التاريخ[5]، فأحيانا يُصوّر الحصان منفردا وأحيانا مركوبا، وكثيرا ما برزت الخيول وهي تجرّ عربات وهذا ما نشاهده في عدّة صور منها عربة يجرّها حصانان ومزوّدة ببضاعة (**انظر الشكل6**)،

---

[1] - نفسه، ص6.

[2] - Aumassip (G), "les chevaux anciens du Maghreb", communication présentée au 5 salon du cheval d'EL jadida , p1.

[3] - سعودي شايد ياسمينة، المرجع السابق، ص9.

[4] - نفسه، ص12.

[5] - Aumassip (G) ," les chevaux anciens du Maghreb", p 3.

وربّما تكون هذه العربة الخفيفة لنقل البضائع، ويستبعد **كامبس**[1] هذا الرأي الأخير، بسبب ضيق المقعد المصنوع من سيور الجلد المضفورة ويرى أنّها مجرد آلة للتباهي أكثر منها وسيلة للاستخدام النفعي على غرار ما كان يفعل الأبطال الإغريق الذين كانوا يركبون العربات عند ذهابهم لميدان المعركة لكنهم يحاربون خصومهم وهم راجلون.

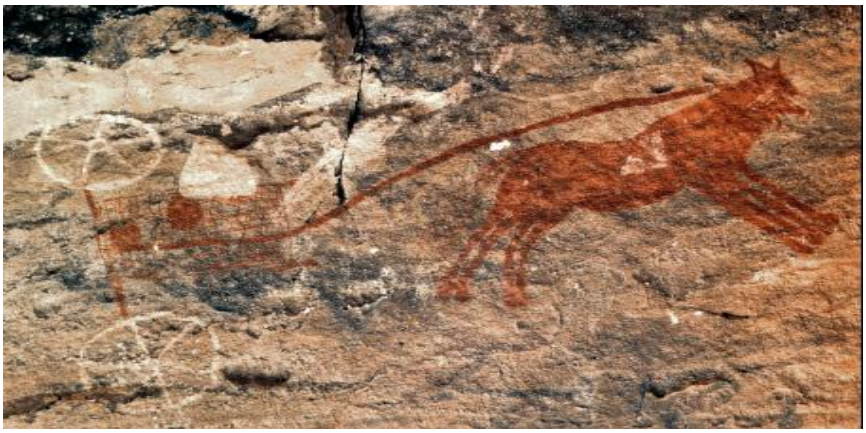

الشكل(6): خيول تجر عربة

- Aumassip (G) , "les chevaux anciens du Maghreb", p 8.

وقد أشار هيرودوت[2] إلى تلك العربات في قوله أنّ الغرامنت الذين استوطنوا فزّان والطّاسيلي، كانوا يطاردون الإثيوبيين، وهم راكبون على عرباتهم ذات الأربع جياد، وقال أنّ الليبيين هم من علّم الإغريق كيف يشدّون إلى العربات أربعة جياد.

غير أنّ استخدام العربات في المغرب القديم والصحراء سيختفي تدريجيا ليترك المجال أمام تعاظم سلاح الفروسية[3]. وصار يُعرف هؤلاء عند مؤرّخي العصور القديمة بالجيتول والغرامنت[4]. ونشير هنا إلى أنّ الحصان قد أُستخدام في عمليات الصيد وفي محاربة الحيوانات المفترسة، وهذا يُؤكّد على أنّ الخيول كانت مدجّنة في منطقة الصحراء منذ بداية الألف الثانية قبل الميلاد على عكس ما جاء به

[1]- كامبس غابريال، **البربر ذاكرة وهوية**، تر: عبد الرحيم حزل، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014، ص101.

[2]- هيرودوت، **تاريخ هيرودوت**، ترجمة: عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبو ظبي،2001، الفقرة183.

[3]- بن علال رضا، المرجع السابق، ص17.

[4]- كامبس غابريال، **البربر**، ص102.

جلّ المؤرخين مثل **قزال وكامبس** وغيرهما اللّذان يردّان تدجين الحصان في المغرب القديم والصحراء قد كان في القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

6.3. الجمل: من الصعب تحديد تاريخ استئناس الجمل أو تقديم أيّة تفاصيل عن ذلك، حيث لا تُوجد أدلة كافية مقارنة مع تدجين الغنم أو الكلب، لكن من المُؤكّد أنّ الجمال قد دُجّنت في وقت لاحق، ومن المحتمل أن تكون بدايات تدجينه قد تم في منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية خلال الألف الثانية قبل الميلاد بناء على فرضية وجود السلف الوحشي في هذه المنطقة بعد العثور على بعض البقايا العظمية لكنّها غير مُؤكّدة[1].

ويعتبر الفن الصخري من أهم المصادر المادية التي صوّرت الجمل، وتُؤرّخ هذه التمثيلات بفترة متأخّرة تُعرف عند المختصيّن في الفن الصخري " **بمرحلة الجمل**" لعدّة أسباب منها: أنّ رسوم الجمل جاءت غير واضحة وبأسلوب متدهور، فضلا عن صمت المصادر الكلاسيكية عن ذكره إذا تم استثناء كتاب " حرب إفريقيا "، ويُلاحظ أنّ الجمّالة مسلّحين بالتروس المستديرة والرماح القصيرة وكذلك تزامنها مع الكتابة الليبية، وانطلاقا من هذه الأسباب والملاحظات يُؤرّخ هنري لوت (Lhote)[2] بداية مرحلة الجمل بالقرن الأول قبل الميلاد ويستمر رسمه إلى غاية الفترة الميلادية. ولقد جاءت أغلب رسوم الجمل وهو مركوب ويقوده صاحبه نحو مكان المعركة ونادرا ما برز وهو يحمل البضائع أو يحمل هودجا **(انظر الشكل7)**[3].

[1] - Dupuy (C.), "L'apparition l'expansion du Camelus dromedarius dans le nord de L'Afrique (Vallée du Nil, Maghreb, Sahara, Sahel", Le Saharien, no190, octobre 2009, p7.

[2] - Lhote (H.), Camps (G.) et Souville (G.), E.B, « Art rupestre », in *6*, Aix-en-Provence, Edisud, 1989, p 935.

[3] - Camps (G.), Peyron (M.) et Chaker (S.), E.B, « Dromadaire », in *17,* Aix-en-Provence, Edisud, 1996,p2543.

الشكل (7) جمل مرسوم بمنطقة أدرار أكاكوس

Hachid (M.), Strabon, El-Idrissi, "la Guerba et un Libyque plus tardif que les V**e**/VI**e** Siècles", 11Actes Du Premier colloque de préhistoire Maghribine, *Travaux du Centre National de Recherches Préhistoriques, Anthropologiques et historiques,*Nouvelle série n°11Actes, Tamanrasset les 5, 6 et 7 novembre 2007Tome II, 2011, p197.

أمّا فيما يتعلّق بتاريخ وجود الجمل وحيد السنام بالمغرب القديم والصحراء فيكتنفه الغموض وفي هذا الإطار تبرز نظرية "الأصول الأجنبية" أي قدومه من خارج المنطقة مثلما كُتب حول تاريخ الكثير من الحيوانات، ومن أبرز من قالوا بالأصول الأجنبية للجمل إميل فليكس غوتييه[1] الذي يرى أنّه أُدخل إلى بلاد المغرب متأخّرا مستندا في طرحه هذا على جملة من المعطيات منها صمت المصادر الكلاسيكية على ذكر الجمل ضمن التركيبة الحيوانية لمنطقة للمغرب القديم بدءا بهيرودوت وديوديور الصقلي فساليست وبلين الأكبر، ومن هنا ذهب غوتييه إلى القول أنّ القرطاجيين ومن بعدهم الرومان قد جهلوا الجمل، وأنّ الأخيرين قد تعرّفوا عليه خلال حروبهم بالشرق ضد أنطوخيوس ومثريدات خلال القرن الأول قبل الميلاد، وظهر خلال الفترة الميلادية وبصورة نادرة وبقي قليلا طيلة القرون الثلاثة الأولى للاحتلال الروماني.

ولا نستغرب تجاهل المصادر الكلاسيكية، فكثيرا ما تجاهل المؤرّخون القدامى الكثير من

[1]- غوتييه إميل فيليكس، **ماضي شمال أفريقيا**، تر: هاشم الحسيني، مؤسسة تاوالت الثقافية، المغرب، 2010.، ص ص 98- 101.

الأحداث المهمّة المعاصرة أو زوّروها ولم يُشيروا لها لا من قريب ولا من بعيد وليس دخول الجمل فحسب، بل نفس الشيء مع حيوانات أخرى كالخنزير والدب والحمار من طرف هيرودوت وبلين الكبير وحتّى القديس أغسطين الذي عاش خلال القرنين الرابع والخامس (354-429م) وكان في عصره الجمل معروفا ومنتشرا على نطاق واسع وكثير الاستعمال في نقل البضائع والمُؤن ضمن القوافل الصحراوية[1].

أمّا ستيفان قزال[2] فيذهب إلى أنّ الرومان هم من أدخل الجمل وقدّموه كهدية إلى الأفارقة في المناطق التلية والسهول العليا وتحت ضغط الرومان اندفع السكان المحليون أشباه البدو ذو البشرة البيضاء نحو الجنوب أين يعيش الزنوج البدو منذ عهد الأنطونيين، ومن هنا فقد أدخل الأفارقة الجمل معهم إلى أعماق الصحراء منذ القرنين الثاني والثالث الميلاديين، غير أنّ كامبس[3] ينفي أن يكون الأفارقة الجمّالة قد احتلّوا الصحراء ونشروا الجمل بمجيئهم المزعوم، لأنّ المتوسطيين المربين الخيول قد كانوا يُسيطرون على الصحراء قرونا عديدة قبل الفترة الميلادية.

وحسب L. Leschi فإنّ خط الليمس (Limes) الذي أنشاه الرومان في جنوب وغرب نوميديا، قد ساهم في جعل الأفارقة البدو يستخدمون بشكل أكبر الجمل في حياتهم، ونفس الشيء مع القبائل الصحراوية الذين جلبوه للاعتماد عليه، هذه الآلية قد دفعتهم للتوجه نحو المناطق السهبية والصحراوية مع جمالهم[4].

ويبدو من خلال الفن الصخري أنّ الجمل أقدم بكثير من بداية الاحتلال الروماني، إذ يضع بعض الباحثين الحصان والجمل في نفس المرحلة على الأقل في منطقة الأهقار وأهنات حيث يحصي مونود 31 صورة للخيول مقابل 45 للجمال، وجاء تمثيل هذه الأخيرة بأسلوب جد طبيعي، وإذا كان البعض يربط انتشار الجمل وتوسعه في المنطقة بالتغيّر المناخي ودخول الصحراء في الجفاف النهائي الذي حدث منذ 2500 ق.م.[5] فهل يعني هذا أن تواجد الجمل قد حدث خلال منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد ؟

---

[1] - شنيتي محمد البشير، **الجزائر في ظل الاحتلال الروماني**، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 319.

[2] - Demougeot (E.), "Le chameau et l'Afrique du Nord romaine". In: AESC, 15e année, N. 2, 1960, p. 242.

[3] - كامبس غابريال، **البربر**، ص 163.

[4] - Demougeot (E.), op.cit, p242.

[5] -Ibid, p 211.

إن لم يستعمل الأفارقة القدامى الجمل في زمن مُبكّر، فقد عرفوه من خلال احتكاكهم بالبطالمة بمصر لاسيما في شرق ليبيا الحالية، فهؤلاء استخدموه مع نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، بعد أن استعمله الإسكندر المقدوني (356-324ق.م) في نقل الماء خلال حملته على مصر سنة 332 ق.م ووصوله لواحة أمون (سيوة)، وبعد ذلك انتشر الجمل تدريجيا من مصر إلى قورينة ومنها إلى بيزاكينا فنوميديا على طول طرق القوافل التجارية نحو الجنوب والغرب[1]. فهو حيوان ملائم تماما لظروف الجفاف، فهو حيوان يتميّز بشدّة التحمّل وخاصّة في الرحلات الصحراوية الطويلة والقدرة على حمل الأثقال وانخفاض استهلاك المياه أثناءها، حيث أُستخدم الجمل في حمل الأثقال والأعمال الزراعية وهذا ما تثبته الأدلة الأثرية وخاصة المنحوتات البارزة خلال القرنين الثاني والثالث للميلاد[2].

وإذا اعتبرنا الجمل حيوانا أجنبيا عن منطقة المغرب القديم، فإنّه من المؤكّد قد كان منتشرا بشكل واسع في الصحراء الوسطى منذ القرنين الثالث والرابع للميلاد، والسؤال الذي يُطرح هنا: أيُّ طريق سلكه الجمل للدخول إليها ؟ هناك فرضيتان هما:

الفرضية الأولى تذهب للقول أنّ الجمل تغلغل في الصحراء الوسطى عبر بحر الغزال والنيل الأوسط فالإنيدي ثم التبستي الشمالي إلى أن وصل منطقة الأهقار[3].

والفرضية الثانية ترى أنّ الجمل قد دخل عبر طريقين: الأول من الشمال إلى الغرب نحو بيزاكينا ونوميديا ومنه إلى الصحراء الوسطى، والثاني من المنطقة الطرابلسية ثم توغّل في الصحراء إلى أن وصل منطقة فزّان وبلاد الغرامنت (**انظر الخريطة رقم2**)[4].

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ قبائل الغرامنت قد لعبوا دورا كبيرا في انتشار الجمل في الصحراء الوسطى والأهقار والغرب الصحراوي، وهذا بفضل موقعهم الذي يربط الجنوب الشرقي بالجنوب الغربي، كما قاموا بدور مهم في المبادلات التجارية بين الشمال والجنوب من خلال تجارة القوافل التجارية[5]. ولقد استعان الرومان منذ القرن الثالث للميلاد بخدمات الجمّالة الماكاي والغرامنت لجلب القمح لتزويد الحصن الروماني غوليا (بونجم حاليا) بمنطقة طرابلس، وكما هو معروف فقد حُملت

---

[1] - Hachid (M.), op.cit, pp 203.

[2] - ماتينغلي د.ج، **منطقة طرابلس في العهد الروماني**، تر: محمد الطاهر الجراري ومحمد عبد الهادي حيدر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2009، ص433.

[3] - Demougeot (E.). Op.cit, p 215.

[4] - Hachid (M.), op.cit, p205.

[5]- ibid, pp 207-208.

جثّة الثائر النوميدي فيرموس بعد هزيمته وقتله على ظهر جمل، وخلال الخامس للميلاد طلب القائد الروماني رومانوس (Romanus) من سكان لبدة تزويده بأربعة ألاف جمل لاستعمالها في حمل أمتعة الجيش لمحاربة قبائل الأوستروروياني الذين نهبوا أراضي المنطقة الطرابلسية[1].

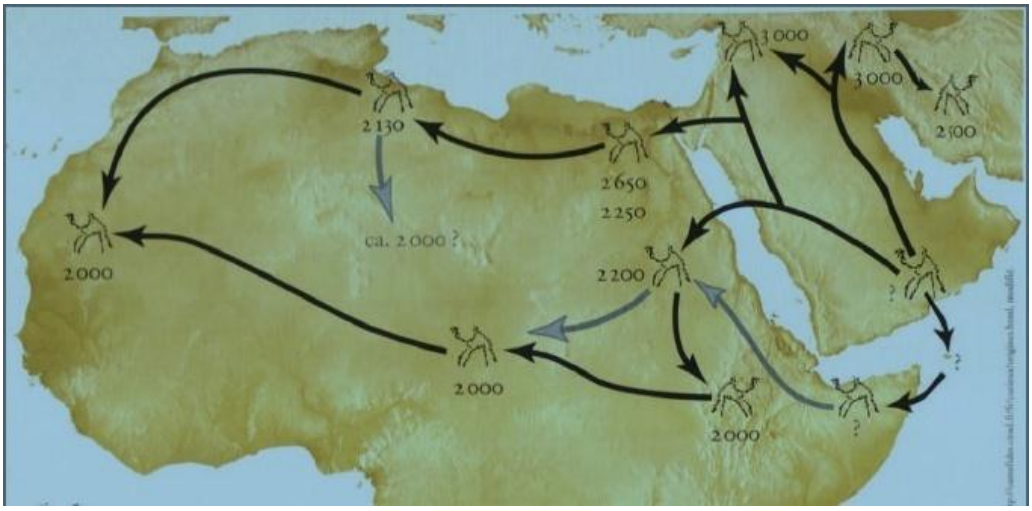

الخريطة (2): خريطة توضح دخول الجمل للصحراء

Buhagar (S-A.), **art rupestre du sud-est libyen** , thèse de doctorat en histoire, université de Grenoble, 2012, p123

وإن استعان الرومان بالجمّالة السوريين الذين كانوا على دراية باستعمال الجمل على تخوم الليمس فإنّ بعض القبائل المحلية قد استعملته في حروبها مثل قبائل الأوستروياني والمازيك والماكاي ولغواطن (لواتة) في الصحراء الليبية، الذين لا يتردّدون في شنّ هجوماتهم على مراكز واد النطرون غرب النيل، حيث اعتمدت قبائل لغواطن بليبيا الحالية خلال القرن السادس على طريقة قتال خاصّة باستعمال الجمال بوضعها في شكل صفوف دائرية وبداخلها توضع النساء والأطفال بينما المقاتلون يختبؤون ما بين أرجل الجمال ويهاجمون الفرسان والجند البزنطيين[2].

خاتمة: وختاما يمكن القول أنّ سكان الصحراء الوسطى الجزائرية قد نجحوا في التأقلم مع بيئتهم الجديدة بعد الجفاف الذي أصاب الصحراء خلال العصر الحجري الحديث، وتمثّل هذا التأقلم من خلال تمكنهم من تدجين بعض أنواع الحيوانات وتربيتهم لها بدلا من مطاردتها وقنصها، وهذه تعتبر

[1] - Camps (G.), Peyron (M.) et Chaker (S.), op.cit, p p2543.

[2]- Hachid (M.), op.cit, p204.

خطوة كبيرة في استقرار المجتمعات البشرية وكانت معظم الحيوانات التي دجّنها الإنسان من العواشب التي تمرح في الأرض المعشوشبة بحثا عن الغذاء، وكان الإنسان في أول أمره يتجوّل معها إلى أين تريد، ولكنّه أخذ فيما بعد يسيطر على تحركاتها، فصار هو المتحكّم، وبقي الرعي حرفة يزاولها الرعاة وهم يتنقّلون بحيواناتهم من منطقة إلى أخرى بحثا عن الماء والكلأ، لأّن حيواناتهم كانت هي رأس مالهم ومصدر عيشهم حيث يعتمدون في استهلاك لحمها وحليبها عليها في صناعة ملابسهم من صوفها ووبرها. ويمكم القول أن الصحراء من أقدم مراكز العالم القديم في تدجين الحيوانات، كما يؤكد ذلك الفن الصخري الصحراوي والبقايا العظمية الكثيرة التي عُثر عليها في منطقة الصحراء.

-المراجع العربية:

1. أوعشي مصطفى، "إسهام النقوش الصخرية بالجنوب المغربي في التعرف ببداية استئناس الحيوانات"، مجلة المناهل، عدد 58، السنة الثالثة والعشرون، مارس .1988

2. بن علال رضا، "العربات القتالية في المغرب القديم"، حوليات المتحف الوطني للآثار القديمة،ع14، 2005.

3.التجاني الماحي علي، "اقتصاد التأقلم البيئي والكلب المستأنس في العصور الحجرية بوادي النيل الجنوبي"، مجلة أدوماتو، العدد الأول، يناير2000.

4. حدادو يوغرطة، **أهم مشاهد الحيوانات الطبيعية الكبرى في محطات النقوش الصخرية للأطلس الصحراوي**، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، 2005-2006.

5.شنيتي محمد البشير، **الجزائر في ظل الاحتلال الروماني**، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999 .

6. عبد الوهاب بدر الدين وهيبة، "دراسة باليونتولوجية وأيكولوجية لمفردات ومزدوجات الأصابع لموقع كهف الضباع المحفوظة بالمتحف الوطني سيرتا"، منشورات المتحف العمومي بخنشلة، .2014

7. غوتييه إميل فيليكس، **ماضي شمال أفريقيا**، تر: هاشم الحسيني، مؤسسة تاوالت الثقافية، المغرب، .2010

8. فرحاتي فتيحة، **نوميديا من حكم جايا إلى بداية الاحتلال الروماني**، منشورات أبيك، الجزائر،2007.ص224.

9. فارب بيتر، **بنو الإنسان**، ترجمة: زهير الكرمي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والآداب، عدد 67، الكويت، جويلية 1983.

10.فيليبسون ديفيد، **علم الآثار الأفريقي**، تر: أسامة عبد الرحمن النور، منشوراتELGA، فاليتا، مالطا، .2002

11. فاغان براين، **الصيف الطويل دور المناخ في تغيير الحضارة**، ترجمة: مصطفى فهمي، عالم

المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والآداب، عدد 340، الكويت، جوان 2007.
-12. قزال استيفان، **تاريخ شمال أفريقيا القديم**، التازي محمد سعود، ج 1، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007.
13. كامبس غابريال، **البربر ذاكرة وهوية**، تر: عبد الرحيم حزل، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014.
14. كامبس غابريال، **العصر الحجري الحديث في منطقة البحر المتوسط**، منشورات المتوسط، تونس، 2000.
15. مصطفى صادق أزهري، "بيئات عصر الهولوسين والتغير الثقافي في نهر النيل الأوسط"، مجلة أدوماتو.
16. لخضر بن بوزيد، **حضارات الرعاة في النيوليتي بالطاسيلي والهوقار من خلال الفن الصخري (6000 ق.م- 1000 ق.م)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة الجزائر2، 2015-2016.
17. ماتينغلي د.ج، **منطقة طرابلس في العهد الروماني**، تر: محمد الطاهر الجراري ومحمد عبد الهادي حيدر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2009.
18. ماجي ليندة، "الماعز في بلاد المغرب القديم بين الشواهد الأثرية والمصادر المادية"، مجلة عصور الجديدة، المجلد 10، العدد 4، ديسمبر 2020.
19. هيرودوت، **تاريخ هيرودوت**، ترجمة: عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبو ظبي،2001.
20. ياسمينة شايد سعودي ونجيب فرحات، "مقبرة البقريات لموقع منخور بالصحراء الوسطى"، مجلة الدراسات الأثرية، عدد1، الجزائر،1992.

- المراجع الأجنبية:

1. Aumassip (G), "les chevaux anciens du Maghreb", communication présentée au 5 salon du cheval d'EL jadida.

2. Aumassip (G.), **trésors de l'Atlas**, ENAL, Alger, 1986.

3. Buhagar (S-A.), **art rupestre du sud-est libyen** , thèse de doctorat en histoire, université de Grenoble, 2012,

4. Camps (G.), "Origines de la domestication en Afrique du Nord et au Sahara", In: RFHO-M, tome 65, n°240, 3e trimestre 197.

5. Camps (G.), Peyron (M.) et Chaker (S.), E.B, « Dromadaire », in *17,* Aix-en-Provence, Edisud, 1996.

6. Camps (G.), « Bélier à sphéroïde », E.B, in *9,* Aix-en-Provence, Edisud, 1991.

7. Camps (G) et autres, **les chares préhistoriques du Sahara , archéologie et techniques d'attelages** , Aix-en-provence,1982

8. Cornevin (M.), "les Néolithiques du Sahara central et l'histoire générale de l'Afrique", BSPF, Année 1982, Volume 79, Numéro 10, pp443-444.

9. Demougeot (E.), "Le chameau et l'Afrique du Nord romaine". In: AESC, 15e année, N. 2, 1960.

10.Ducos (P.), "Les débuts de l'élevage en Palestine", In: Syria. Tome 44 fascicule 3-4, 1967. pp. 375-400.

11. Dupuy (C.), "L'apparition l'expansion du Camelus dromedarius dans le nord de L'Afrique (Vallée du Nil, Maghreb, Sahara, Sahel", Le Saharien, no190, octobre 2009.

12. Espérandieu (G.), Coppé (G.), et Chaker (S.), « Chien », E.B, in *13,* Aix-en-Provence, Edisud, 1994.

13. Espérandieu (G.) et Chaker (S.), E.B, « Chèvre », in *13,* Aix-en-Provence, Edisud, 1994,

14. Espérandieu (G.), "domestication et elevage dans le nord de l'Afrique au neolithique et dans protohistoire d'après les figurations rupestres", congrès panaficain de préhistoire, Alger, 1952

15.Francq (E.), **Les origines des races européennes de chiens de berger**, thèse pour le doctorat véterinaire, la faculité de medecine de Créteil, 2007.

16. Gauthier (CH.), AARS " les mats dans l'art rupestre du Messak (Fezzan)" ACTES 1995 / 1996, p36.

17. Leclant (J.) et Huard (P.), **la culture des chasseures du Nil et du Sahara**, tomeII, (M.R.A.P.E),Alger, 1976

18. Le Quellec (J-L.) "À propos d'un site inédit de l'Akukas: Contribution à l'iconologie du style d'Iheren", Cahiers de l'AARS, N° 14, Mai 2010.

19. Lhote (H), **les gravures rupestres de l'oued Djerat (Tassili N-Ajjer)**, tome 2, mémoires du centre de recherches Anthropologiques préhistoriques et ethnographiques , Alger, 1976.

20. Lhote (H.), **vers D'autres Tassilis**, Arthaud, Paris, 1976.

21.Lhote (H.), Camps (G.) et Souville (G.), E.B, « Art rupestre », in *6,* Aix-en-Provence, Edisud, 1989.

22. Lhote (H), **les gravures rupestres de l'atlas saharien ; monts des Ouled-Nail et**

région de Djelfa, O.P.N.T, Alger, 1984.

23. Muzzolini (A.), "les premières moutons saharien d'après les figurations rupestres", Archéozoologia, vol 12 1987.

24. Precheur-Canonge (T.), **la vie rurale en Afrique romaine d'Après les Mosaïques**, presses universitaires de France, Paris, 1962.

25. Roubet (C.), "économie pastorale préagricole dans l'Aurès néolithique", DA, n 282 ,2003.